إلى شبابنا، الذي لم يعش زمن عبد الجواد صالح ولم يسمع باسمه

إليكم أُهدي سيرة رجل جعل من حب وطنه رسالة عمر لا تنقضي، لتكن لكم مثالاً وقدوة.

يحكي هذا الكتيّب ويوثق باختصار سيرة عبد الجواد صالح (1931–2025)؛ وهو شخصيةٍ وطنية مستقلة تركت أثراً عميقاً في مسيرة النضال الفلسطيني. أمضى أكثر من سبعة عقود من حياته مناضلاً في سبيل قضيّة شعبه المظلوم والباسل في آن معاً. فمنذ شبابه اليافع، يوم كان كشافاً من كشافة البيرة يساعد اللاجئين الذين هُجِّروا قسراً عام 1948، وحتى انسحابه الشجاع، وهو في التسعين من عمره، من عضوية المجلس المركزي الفلسطيني مطلع عام 2020؛ احتجاجاً على ما آلت إليه أوضاع منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية، ظلّ عبد الجواد صالح وفيّاً لمواقفه المبدئية، صادقاً مع نفسه، وملتزماً بقضية شعبه حتى آخر لحظة من حياته.

لقد كان رجلاً استثنائياً؛ واحداً من قلّة من الشخصيات الوطنية التي عُرفت بجرأتها وصراحتها وصلابتها في مواجهة الظلم، مهما كان مصدره: أكان عدوّاً غاشماً أم أخاً ضالاً. وقد عُرف بين الناس بعمق التزامه، وصلابة مواقفه، ونظرته الاستشرافية واسعة الأفق. هذه الخصال يدركها جيلاً كاملاً ممّن عاشروه أو شهدوا أفعاله أو سمعوا عن أفكاره وأعماله.

استمد عبد الجواد صالح، جرأته وشجاعته، من طفولته التي تأثرت بأمه عزيزة الحاج أمين (أم العبد)، تلك الأمّ الفلّاحة الاستثنائية، التي غرست في نفسه ومنذ نعومة أظفاره فكرة العدالة وحب الأرض والانتماء إليها، وأسهمت بدور محوريّ في تشكيل وعيه المبكّر: إحساس عالٍ بالكرامة، وحب لامتناهٍ للأرض، ورفضٍ للقهر والظلم أيّاً كان مصدره. لقد كان الأمر هكذا دائمًا، حتى آخر رمق في حياته.

قضى عبد الجواد صالح الشطر الأكبر من مسيرته السياسية الطويلة خارج المظلّات الحزبيّة والفصائليّة، بعيداً عن الأطر التنظيمية التي تُقيّد الفرد وتصهره في مجموعها. وظلّ طيلة حياته مؤمناً بمبادئ الوحدة العربيّة والعدالة الاجتماعيّة والحريّة، متمسّكاً بها، ووفيّاً لقيمها. ورغم إيمانه بالتعدّدية وحرية الرأي، وتقديسه للوحدة الوطنية وبعده عن التعصّب، فقد رفض اعتبار الرأي الذي يسوّغ التفريط، وجهة نظر ضمن إطار التعدّدية. ولهذا تميزّت مواقفه السياسية بالحدية والغضب في مواجهة ما اعتبره ظلماً أو خيانة أو فسادا أو تقصيراً.

وتؤكّد سيرة عبد الجواد صالح على الدور الحاسم للفرد القائد في صناعة المشهد السياسي. والتأكيد على صحّة مقولة «كما يكون القادة يكون الرجال» في مواجهة مقولة «كما أنتم يولى عليكم». فقد وجد عبد الجواد صالح نفسه في موقع مسؤولية تاريخية؛ منذ أن تولّى رئاسة بلدية البيرة في شباط/فبراير عام 1967، إي قبل أربعة أشهر من وقوع البيرة تحت الاحتلال الإسرائيلي.